

٢١

سَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مَنْ فِيهِ شَجَرٌ
أَذْلَقَهُ خَيْرٌ

كَلْمَةُ هَكَدِئَةٍ فِي

حَدِيثُ افْتَاقِ الْأُمَّةِ

بِشَكْلِ الْكَسْتُورِ

عُمَرُ عَبْدُ اللَّهِ كَامِلٌ

دَارُ الرَّازِي

سَكَلْمَةُ مَكَادِنَيْنِي

حدیث افتراق الأمة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

٢٠٠٨ - هـ ١٤٢٩ م

۱۲

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَلَكُ الْجَنَّاتِ وَالْأَرْضِ
أَنْذِرْنِي بِخَيْرٍ

كَلْمَةُ هَادِئَةٍ فِي

حدیث افتراق الأمة

حضرت عباد اللہ کے اقبال

درالرازی



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، خلقنا من نفس واحدة، وجعلنا شعوبًا وقبائل، كما جعل من آياته اختلاف ألسنتنا وألواننا، وأمرنا بالاعتصام بحبله المتين؛ كتابه المبين وسنة نبيه الأمين، فمن اعتصم بهذا الحبل فهو معصوم في تفرقه، مرحوم في اختلافه.

والصلة والسلام على سيد خلق الله ورحمته الكبرى للعالمين، ما ترك خيراً يقربنا إلى الله إلا وأمرنا به، ولا شرّاً يبعدنا عن الله إلا ونهانا عنه، فجزاه الله عنا خير الجزاء وأجزله. وبعد:

فقد وردت أحاديث في افتراق الأمة على بضع وسبعين فرقة على خلاف طفيف في العدد حسب الروايات، وفي أغلبها زيادة بيان أن الناجي من هذه الفرق فرقاً واحدة، وأن الباقي هلكي، وجاءت زيادة مخالفة في رواية من طريقين فيها أن أهالك منها فرقاً واحدة وبباقي الفرق ناجون! إلى غير ذلك كما سترى.

وقد اجتهد الأئمة من أهل السنة بعد أن حملوا الفرقة الناجية في الحديث بداعه وكما نص عليه الرسول الكريم بأنهم المتابعون لهديه ﷺ: «وما أنا عليه وأصحابي» وما عليه (الجماعة)، أو (السود الأعظم)، إلى أن ظهر التنابذ والشقاق، فصار البعض من أتباع الفرق والمذاهب المختلفة قدّيماً وحديثاً يكتفي برفع شعار من الشعارات ليصير هو الفرقة الناجية نابزاً إخوانه بأنهم من الفرق الهالكة، حتى ذهب طائفة من العلماء الغيورين على الدين المشفقين على الأمة أن رواية «كلها في النار إلا واحدة» هي كما قال ابن الوزير: «زيادة فاسدة، ولا يبعد أن تكون من دسيسة الملاحدة»، وتتابعه ابن الأمير الصناعي والشوکانی، وضعفها من قبلهم ابن حزم وغيره من المتقدمين.

لذا أحيبنا أن نسجل بعض الملحوظات المصححة للمفاهيم الأساسية التي ينبغي أن يدرس الحديث برواياته في إطارها وصولاً إلى المعنى الذي عناه وأشار إليه المعلم الأكبر سيدنا محمد ﷺ. والله الهادي إلى سواء السبيل.

الفصل الأول

نهاذج للأحاديث الواردة في افراق الأمة

أولاً: الأحاديث الدالة على أن الناجين فرقة واحدة:

المحدث الأول: حديث عوف بن مالك:

رواه ابن ماجة^(١) كما أشار إليه العراقي في «تخریج أحاديث الإحياء»، ولفظه عنده: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافتقرت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فإذاً إحدى وسبعين في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وأثنستان وسبعون في النار» قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: «الجماعه». ورجاله موثقون.

(١) الحديث (٣٩٩٢).

(λ) «*сомнение*» $\wedge / \lambda \lambda (\forall ab \lambda)$.

• ፳፻፲፭/፩፻፭፻፭/፩፻፭፻፭

(1) V/388, 675 V/388.

መ. የጊዜ፡ «በር ህና ጥሩ ይህንን የሚጠበቅበት».

መሸሪያ አገልግሎት ተስፋዎች ከተማ ማረጋገጫ ስንጥቅ የሚከተሉት የሚከተሉት የሚከተሉት

“**କାନ୍ତିର ପାଦମଣି**” ଏହାର ଅଧିକାରୀ ହେଉଥିଲା :

ପ୍ରକାଶିତ ଦିନ ୧୯୮୫ ଅକ୍ଟୋବର

የተጠቀሰውን ቁጥር የሚከተሉት ነው፡፡

।**ଶ୍ରୀକୃଷ୍ଣ** ।**ଶ୍ରୀକୃଷ୍ଣ** ।

ال الحديث الثالث: حديث عبد الله بن عمرو بن العاص:

قال: قال رسول الله - صلى الله تعالى عليه وآلـه وسلم - : «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقـت على ثنتين وسبعين ملة، وتـفترقـ أمـتي على ثـلـاث وسبعين ملة، كلـهمـ فيـ النـارـ إـلاـ مـلـةـ وـاحـدـةـ»، قالـواـ: وـمـنـ هـيـ يـاـ رسـولـ اللهـ؟ـ قـالـ:ـ «ـمـنـ كـانـ عـلـىـ مـاـ أـنـاـ عـلـيـهـ وـأـصـحـابـيـ»ـ .ـ أـخـرـجـهـ التـرمـذـيـ (ـ)ـ .ـ

ال الحديث الرابع: حديث معاوية بن أبي سفيان:

قال: قام فيـناـ رسـولـ اللهـ - صـلـىـ اللهـ تـعـالـىـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلمـ - فـقـالـ:ـ «ـأـلـاـ إـنـ مـنـ قـبـلـكـمـ مـنـ أـهـلـ الـكـتـابـ اـفـتـرـقـواـ عـلـىـ ثـنـتـيـنـ وـسـبـعـيـنـ مـلـةـ،ـ وـإـنـ هـذـهـ الـمـلـةـ سـتـفـرـقـ عـلـىـ ثـلـاثـ وـسـبـعـيـنـ،ـ ثـنـتـانـ وـسـبـعـونـ فـيـ

النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة». أخرجه أحمد^(١) وأبو داود^(٢).

الحديث الخامس: حديث أنس بن مالك:

قال ذُكر رجل لرسول الله - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - له نكایة في العدو واجتهاد، فقال رسول الله - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - «لا أعرف هذا!!»، قال: بل نعنه كذا وكذا، قال: «ما أعرفه!!»، فبينما نحن كذلك إذ طلع الرجل، فقال: هو هذا يا رسول الله، قال: «ما كنت أعرف هذا، هذا أول قرن رأيته في أمتي، إن فيه لسفة من الشيطان»، فلما دنا الرجل سلم فرد عليه السلام، فقال له رسول الله - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - «أنشدك بالله، هل حدثت نفسك حين طلعت علينا أن ليس في القوم أحد أفضل

. ٤٠٢/٤(١)

(٢) الحديث (٤٥٩٧).

منك؟!» قال: اللهم نعم!!! قال: فدخل المسجد فصلٍ، فقال رسول الله - صلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِأَبِيهِ بَكْرٍ: «قُمْ فاقْتُلْهُ!!» فدخل أبو بكر فوجده قائماً يصلي.. الحديث، وفيه: فقال رسول الله - صلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ قُتِلَ الْيَوْمَ مَا اخْتَلَفَ رَجُلٌ مِّنْ أُمَّتِي حَتَّى يُخْرَجَ الدِّجَالُ!!».. ثم حدثهم رسول الله - صلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - عن الأُمَّةِ فقال: «تَفَرَّقَتْ أُمَّةُ مُوسَىٰ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ مَلْهَةً، سَبْعُونَ مِنْهَا فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَتَفَرَّقَتْ أُمَّةُ عِيسَىٰ عَلَى ثَتَّيْنِ وَسَبْعِينَ مَلْهَةً، إِحْدَى وَسَبْعِينَ مِنْهَا فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ»، فقال رسول الله - صلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - «وَتَعْلُو أُمَّتِي عَلَى الْفَرَقَتَيْنِ جَمِيعاً بِمَلْهَةٍ، إِثْنَتَانِ وَسَبْعِينَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ»، قالوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قال: «الْجَمَاعَةُ»^(١). رواه أبو يعلى من طريقين

(١) قال يعقوب بن يزيد: وكان علي بن أبي طالب إذا حدث بهذا الحديث عن رسول الله - صلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - تلا منه قرآنًا **﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَيَهُدَىٰ بِهِ يَعْدِلُونَ﴾** [الأعراف: ١٥٩] ثم ذكر أمة =

أولها^(١) فيه أبو معشر المدني (نجيح السندي) وفيه ضعف، والآخر فيه يزيد الرقاشي ضعفه أيضاً الجمهور وفيه توثيق لين، قال ابن حجر: ضعيف أسن واختلط، وبقية رجاله رجال الصحيح.

= عيسى فقال: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءامُوا وَآتَقُوا لَكَفَرَنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا ذَخَلْنَاهُمْ جَنَّتَ النَّعِيمِ» [المائدة: ٦٥] ثم ذكر أمتنا فقال: «وَمِنْ خَلْقِنَا أُمَّةٌ يَهُدُونَ بِالْحَقِّ وَبِمِنْ يَعْدِلُونَ» [الأعراف: ١٨١]. اهـ. قلت: ووجه الدلالة في استدلال أمير المؤمنين - كرم الله وجهه - بالأية، وهي «وَمِنْ قَوْمَ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهُدُونَ بِالْحَقِّ وَبِمِنْ يَعْدِلُونَ» هو تأكيد وقوع الانفراق فيبني إسرائيل عامة، لا فيمن آمن منهم خاصة؛ وذلك لأن المراد من (قبو موسى) بنو إسرائيل، والمراد من (أمة يهدون بالحق)، من آمن منهم خاصة. وما قيل هنا يقال نظيره في استدلاله - عليه السلام - في حق هذه الأمة بقوله تعالى «وَمِنْ خَلْقِنَا أُمَّةٌ يَهُدُونَ بِالْحَقِّ وَبِمِنْ يَعْدِلُونَ».

ال الحديث السادس: أيضاً حديث أنس بن مالك:

وأما حديث أنس، فرواه ابن ماجه^(١) كما أشار إليه العراقي، ولفظه عزمه: «إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة». وكذلك رواه ابن جرير في «التفسير»^(٢)، ورجاله رجال الصحيح، ورواه أحمد^(٣) بلفظ: «إن بني إسرائيل تفرقت إحدى وسبعين فرقة، فهلكت سبعون فرقة وخلصت فرقاً واحدة، وإن أمتي ستفترق على اثنين وسبعين فرقة، فتهلك إحدى وسبعين فرقة وتخلص فرقاً». قالوا: يا رسول الله من تلك الفرق؟ قال: «الجماعة».

(١) الحديث (٣٩٩٣).

(٢) ٣٧٨/٣.

(٣) ١٤٥/٣، و ١٢٠.

ويلاحظ في هذه الأحاديث - وكما سيأتي في أحاديث أخرى -

أن أعداد الفرق المذكورة غير ثابتة.

يقول العلامة شهاب الدين الألوسي في «تفسيره» بعد أن أورد

بعض هذه الروايات:

«ولا تعارض بين هذه الروايات؛ لأن الانفراق حصل لمن حصل

على طبق ما وقع فيها في بعض الأوقات، وهو يكفي للصدق وإن

زاد العدد أو نقص في وقت آخر». اهـ. من تفسيره للآلية (١٠٥) من

سورة آل عمران^(١).

قلت: ذهب جمهور الأصوليين إلى أن العدد لا مفهوم له؛ إذ يرد

العدد مجرد بيان الكثرة، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةِ ذَرْعَهَا﴾

(١) «روح المعاني» ٤/٢٣.

سَبْعُونَ ذِرَاعًا ﴿الحَاقَةٌ: ٣٢﴾ وقوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبه: ٨٠] الآية.

تعليق:

ما سبق عرضه نجد أن الحديث روي بعدة ألفاظ، وهذا دليل اضطراب في المتن، مما يدل على أن الحديث قد روي بالمعنى. ولا بد من الإشارة إلى أن هنالك روایات عن حديث افتراق الأمة ليس فيها عباره: «كلها في النار إلا واحدة».

وقد أشار مجموعة من العلماء (أمثال: الصناعي، والشوكاني، وابن حزم، وغيرهم) على نفي هذه الزيادة في الحديث. نقول: إن هذه الزيادة لم تثبت في الروایات الصحيحة لهذا الحديث.

وإن في هذا الحديث كلاماً في السند والمتن، كما ذكر المحدثون؛ فالحديث الذي رواه الترمذى مداره على محمد بن عمر بن علقمة بن وقارص الليثى، وجاء في «تهذيب التهذيب» أن الرجل متكلم فيه

من قبل حفظه، وأن أحداً لم يوثقه بالإطلاق، وكل ما ذكروه أنهم رجحوه على من هو أضعف منه. وقال الحافظ في «التفريغ»:

صدقوا له أوهامه. اهـ، والصدق لا يكفي ما لم ينضم إليه الضبط، فكيف إذا كان معه أوهام؟!

ولهذا طعن العلامة ابن الوزير في هذا الحديث عامة وفي الزيادة خاصة، وهي (أن الفرق كلها في النار إلا واحدة)؛ لما تؤدي إليه من تضليل الأمة بعضها بعضاً. وقال ابن حزم: إن الزيادة موضوعة غير موقوفة ولا مرفوعة. ولقد روی الحديث عن طريق أبي هريرة ليس فيه زيادة (إن الفرق كلها في النار إلا واحدة).^(١)

وروی هذا الحديث بالزيادة من حديث عبد الله بن عمرو، ومعاوية، وعوف بن مالك، وكلها ضعيفة.

ثم إن الحديث يدل على أن الفرق كلها جزء من أمته ﷺ، مما يعني

(١) انظر «سنن» أبي داود (٤٥٦٩)، والترمذى (٢٦٤٠)، وابن ماجه (٣٩٩١).

أن أحداً منها لم يخرج من أمته، والتي مأهلاً إلى الجنة؛ لقول رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله: دخل الجنة»^(١)، ومن دخل منهم النار دخل دخول العصاة الموحدين، ثم يدخل الجنة.

وهذا الحديث ما من فرقة من فرق المسلمين إلا رمت غيرها به حتى تفرقت الأمة، وكان ينبغي بحثه متناً وأسانيد. وهناك كتب حديثة أفردت له بحوثاً ينبغي العودة إليها.

ولقد بالغت كثير من الفرق الإسلامية في إقصاء غيرها والحكم عليها بالهلاك، مع أن الخلاف لم يقع في قطعيات كبرى، وهم متفقون في الغالب على المعلوم من الدين بالضرورة، وهم بهذا الإيمان ناجون - إن شاء الله - ومن جحد المعلوم من الدين بالضرورة هو من يُخشى عليه.

ومن جهة أخرى هذه الأحاديث المروية في افتراق الأمة تتعارض مع أحاديث أخرى تدور حول نجاة كل من قال: لا إله إلا الله، كقوله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله خلصاً دخل الجنة».^(١)

وما جاء في الحديث القدسي الذي رواه مسلم: «وعزتي وجلالي وكبرياتي وعظمتي لأنخرجن منها - النار - من قال لا إله إلا الله».^(٢) فلا بد إذاً من التوفيق بين هذه الأحاديث، ولا يتم هذا التوفيق إلا باعتبار أن كل من في الأرض مخاطب بالرسالة وهي أمة الدعوة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ بِشِيرَكَ وَكَذِيرَكَ﴾ [سبأ: ٢٨].

أما أمة الإجابة فهي التي أشار إليها النبي ﷺ بالفرقة التي زادت على عدد فرق اليهود والنصارى، فكل من استجاب لدعوة النبي ﷺ فهو

(١) رواه البزار والطبراني عن أبي سعيد الخدري. انظر «كشف المغفاء» ٢/٣٥٤.

(٢) البخاري (٧٥١٠)، مسلم (١٩٣).

من أمة الإجابة، وهو داخل ضمن هذه الفرقة الناجية، إن شاء الله. ومع أن كل فرقة من فرق الإسلام تدّعى أنها الفرقة الناجية، ولكن كل من قال: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) فهو ناجٌ مصداقاً لحديث رسول الله ﷺ: «من قال لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مخلصاً دخل الجنة»^(١). ثانياً: ما ورد أن فرق أمة الإجابة كلها في الجنة:

١ - روى الديلمي في «مسند الفردوس»^(٢) قال:
أخبرنا أبو ثابت بن منصور، أخبرنا جعفر بن محمد بن الحسين الأبهري، حدثنا صالح بن أحمد الحافظ، حدثنا إبراهيم بن محمد بن يعقوب، حدثنا الحسن بن زولاق، حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا يحيى ابن يهان، عن ياسين الزبيات، عن سعد بن سعيد أخي يحيى، عن أنس قال: قال رسول الله - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - : «تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقاً كلها في الجنة إلا الزنادقة». ح قال: وأخبرنا

(١) انظر الصفحة السابقة.

(٢) ٦٣ / ٢٣٥٩.

عبدوس، أخبرنا أبو منصور، أخبرنا الدارقطني، حدثنا محمد بن ثابت، حدثنا أحمد بن داود، حدثنا عثمان بن عفان القرشي، حدثنا أبو إسماعيل حفص بن عبد الله الأبلي عن مسعود، عن سعد بن سعيد... اهـ. وسكت عليه الحافظ ابن حجر في «زهر الفردوس».

قال العلامة شمس الدين محمد بن أحمد البشاري المقدسي في كتابه «أحسن التقاسيم»^(١) بعد أن عدد الفرق وذكر حديث «اثنان وسبعون في الجنة وواحدة في النار» وكذا حديث «اثنان وسبعون في النار وواحدة ناجية»: وهذا أشهر، إلا أن الأول أصلح إسناداً. اهـ. أي إن حديث نجاة أمّة الإِجابة كلها وهلاك الزنادقة فقط أصلح إسناداً، وغني عن البيان أنه أصبح معنى، «كم سيأتي». ٢ - قال الزبيدي في «إنتحاف السادة المتقيين»:

(١) في المقدمات، (ذكر المذاهب والذمة).

ورواه أبو يعلى في «مسنده» بلفظ: «تفترق هذه الأمة على بعض وسبعين فرقة إني أعلم أهداماها فرقة الجماعة».

ثالثاً: أحاديث دالة على اختلاف ظاهري في أمة الإجابة مع افتراق أمة الدعوة:

الحديث الأول: حديث عبد الله بن عباس:

قال: كانت ملوك بعد عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام بدّلوا التوراة والإنجيل^(١)، وكان فيهم مؤمنون يقرؤون التوراة، قيل للملوك: ما نجد شتماً أشد من شتم يشتمونا هؤلاء، إنهم يقرؤون: ﴿وَمَنْ لَمْ يَخْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائد: ٤٤]

(١) قلت: تبديلهم التوراة والإنجيل يدل على ردهم عن الدين وخروجهم من صفوف أمة الإجابة، ويؤكد ذلك قوله بعدها (وكان فيهم مؤمنون.....) إلخ.

مع ما يعيّبونا به في أعمالنا في قراءتهم، فادعهم فليقرروا كما نقرأ، وليرأمنوا كما آمنا، فدعهم فجمعهم، وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل، إلا ما بدلوا منها، فقالوا: ما تريدون إلى ذلك؟ دعونا، فقالت طائفة منهم: ابتو لنا أسطوانة، ثم ارفعونا إليها، ثم أعطونا شيئاً نرفع به طعامنا وشرابنا، فلا تردد عليكم. وقالت طائفة منهم: دعونا نسيح في الأرض، وننheim ونشرب كما يشرب الوحش، فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا. وقالت طائفة منهم: ابتو لنا دوراً في الفيافي، ونحتفر الآبار، ونحرث البقول، ولا تردد عليكم ولا نمر بكم. وليس أحد من القبائل إلا وله حميم فيهم، قال: فعلوا ذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَرَهَبَانِيَةَ ابْتَدَعُوهَا مَا كَبَتَهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانَ اللَّهِ فَمَارَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧].

والآخرون قالوا: نعبد كما تعبد فلان، ونسبح كما ساح فلان، ونتخذ دُوراً كما اتخذ فلان وهم على شركهم، لا علم لهم باليهان الذين اقتدوا به، فلما بعث الله النبي - صلى الله تعالى عليه وآلـه وسلم

— ولم يبق منهم إلا قليل، انحطت رجل من صومعته، وجاء سائح من سياحته، وصاحب الدير من ديره، فآمنوا به وصدقواه، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ أَمْسَنُوا أَنْقُوا اللَّهَ وَأَمْنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتُكُمْ كُفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ [الحديد: ٢٨] : أجرين: بيايانهم بعيسى عليه السلام وبالتوراة والإنجيل، وبيايانهم بمحمد - صلى الله تعالى عليه وأله وسلم - وتصديقهم. قال: ﴿وَبَجَعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ [الحديد: ٢٨] : القرآن، واتباعهم النبي - صلى الله تعالى عليه وأله وسلم - ، قال: ﴿إِنَّا لَّا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ يتشبهون بكم ﴿أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ٢٩] الآية. أخرجه النسائي ^(١).

(١) «ستنه»، كتاب آداب القضاة باب تأويل قول الله عز وجل: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)، ح (٥٤٠٠). وإسناده قوي، فإن الراوي عن عطاء بن السائب هو سفيان الثوري، وقد سمع منه قبل أن يخالط، كما نبه على ذلك غير واحد من التقاد.

الحديث الثاني: حديث عبد الله بن مسعود:

قال: دخل عليّ رسول الله - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - فقال: «يا بن مسعود» قلت: لبيك يا رسول الله، قالها ثلاثة... قال: «تدرى أي الناس أفضل؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن أفضل الناس أفضلهم عملاً إذا فقهوا في دينهم». ثم قال: «يابن مسعود» قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «تدرى أي الناس أعلم؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «إن أعلم الناس بأصرهم بالحق إذا اختلف الناس وإن كان مقصراً في العمل، وإن كان يزحف على استه زحفاً. واختلف من كان قبله على ثنتين وسبعين فرقة، نجا منها ثلاثة وهلك سائرهن»:

فرقة واذ الملوك وقاتلواهم على دينهم ودين عيسى ابن مريم، وأخذوهم فقتلواهم وقطعواهم بالمناشير.

وفرقه لم يكن لهم طاقة بموازاة الملوك، ولا بأن يقيموا بين ظهريائهم يدعونهم إلى دين الله عز وجل ودين عيسى ابن مريم

عليه السلام^(١)؛ فساحوا في البلاد وترهبا^(٢)». قال: «وهم الذين قال الله عز وجل: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً أَبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَا لَهُمْ﴾ [الحديد: ٢٧].

فقال النبي -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها، ومن لم يتبعني فأولئك هم الماكون»^(٣).

وفي رواية: «فرقة أقامت في الملوك والجبارية فدعت إلى دين عيسى، فأخذت فقتلت بالمناشر وحرقت بالنيران، فصبرت حتى لحقت بالله»^(٤) والباقي بنحوه.

(١) هذه هي الفرقـة الثانية من أمة الإجابة.

(٢) هذه هي الفرقـة الثالثة من أمة الإجابة.

(٣) «المعجم الكبير» ١٠ / ٢٢٠.

(٤) «المعجم الكبير» ١٠ / ١٧١.

رواه الطبراني بإسنادين^(١)، ورواه الطبراني في «تفسيره»^(٢)، وابن أبي حاتم^(٣) .
 وكما هو واضح ف الحديث ابن عباس و الحديث ابن مسعود يؤكdan
 صحة ما ذهب إليه بعض الفضلاء قد يأ و حدثاً من أن الحديث
 «كلها في النار إلا واحدة» هو في أمة الدعوة، والفرقة الناجية فيه هي
 أمة الإجابة بجمعها، لا يستقيم الجمع بين الأحاديث إلا بذلك
 خاصة في ضوء خيرية هذه الأمة.

- (١) الحاشيتان السابقتان، ورواه الطبراني في «الأوسط» ٤/٣٧٧، و ٣٧٧.
 «الصغير» ١/٣٧٢.
- (٢) الآية ٢٧ من سورة الحديد. ١١/٦٨٩.
- (٣) «تفسيره» ١٠/٣٣٤٠.

الفصل الثاني

الاختلاف المسموح والتفرق المعصوم

في أمة الإجابة الناجية إن شاء الله

ذكر الإمام الخطابي في كتابه «غريب الحديث» حديث: «اختلاف أمتي رحمة» وأشار إلى اعتراض بعض الناس عليه بقولهم (لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق عذاباً)، ثم قال: «والاختلاف في الدين على ثلاثة أقسام:

الأول: في إثبات الصانع ووحدانيته، وإنكاره كفر.

الثاني: في صفاته ومشيئته، وإنكارهما بدعة.

الثالث: في أحکام الفروع المحتملة وجوهاً، فهذا جعله الله رحمة وكراهة للعلماء، وهو المراد بحديث «اختلاف أمتي رحمة». اهـ.

انظر «المقاصد الحسنة» للسخاوي نقاً عن شيخه الحافظ ابن

حجر.

وقال الإمام النووي في «شرح مسلم»^(١): «ولا يلزم من كون الشيء رحمة أن يكون ضده عذاباً، ولا يلتزم هذا ويدركه إلا جاهل أو متဂاھل، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَيَّلَ وَالنَّهَارَ لِتَشْكُوَا فِيهِ﴾ [القصص: ٧٣] فسمى الليل رحمة، ولم يلزم من ذلك أن يكون النهار عذاباً». اهـ.

ويقول العلامة المفسر شهاب الدين الألوسي في تفسيره للآلية **﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَأَخْتَلَفُوا هُمْ﴾** [آل عمران: ١٠٥] ناقلاً عن الإمام تقى الدين السبكي كلامه في حديث «اختلاف أمتى رحمة» وأنه لا يعرف له سندًا ولا يظن له أصلًا.

قال: «ثم والذى نقطع به أن الاتفاق خير من الاختلاف، وأن الاختلاف على ثلاثة أقسام:

أحدها: في الأصول، ولا شك أنه ضلال وسبب كل فساد، وهو المشار إليه في القرآن.

والثاني: في الآراء والخروب، ويشير إليه قوله - صلى الله تعالى عليه وأله وسلم - لمعاذ، وأبي موسى لما بعثهما إلى اليمن: «تطاووا ولا تختلفا»، ولا شك - أيضاً - أنه حرام؛ لما فيه من تضييع المصالح الدينية والدينوية.

والثالث: في الفروع، كالاختلاف في الحلال والحرام ونحوهما، والذي نقطع به أن الاتفاق خير منه - أيضاً - لكن هل هو ضلال كالقسمين الأولين أم لا؟ فيه خلاف، فكلام ابن حزم ومن سلك مسلكه من يمنع التقليد يقتضي الأول، وأما نحن فإننا نجواز التقليد للجاهل والأخذ عند الحاجة بالرخصة من أقوال بعض العلماء من غير تتبع الرخص، وهو يقتضي الثاني. ومن هذا الوجه قد يصح أن يقال: الاختلاف رحمة؛ فإن الرخص منها بلا شبهة، وهذا لا ينافي قطعاً القطع بأن الاتفاق خير من الاختلاف، فلا تنافي بين الكلامين؛

لأن جهة الخيرية تختلف، وجهة الرحمة تختلف؛ فالخيرية في العلم بالدين الحق الذي كلف الله تعالى به عباده، وهو الصواب عنده، والرحمة في الرخصة له، وإباحة الإقدام بالتقليل على ذلك.

و«رحمة» نكرة في سياق الإثبات لا تقتضي العموم، فيكتفي في صحته أن يحصل في الاختلاف رحمة ما في وقت ما في حالة ما على وجه ما، فإن كان ذلك حديثاً فيخرج على هذا، وكذا إن لم يكنه. وعلى كل تقدير لا نقول: إن الاختلاف مأمور به، والقول بأن الاتفاق مأمور به يلتفت إلى أن المصيب واحد أم لا؟ فإن قلنا: إن المصيب واحد - وهو الصحيح - فالحق في نفس الأمر واحد، والناس كلهم مأمورون بطلبه، واتفاقهم عليه مطلوب، والاختلاف حيث أنه منهي عنه وإن عذر المخطئ وأثيب على اجتهاده وصرف وسعه لطلب الحق؛ فقد أخرج البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه من حديث عمرو بن العاص: «إذا حكم الحاكم فاجتهد وأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد وأخطأ فله أجر». وكذلك إذا قلنا بالشبه، كما هو قول بعض الأصوليين.

وأما إذا قلنا: كل مجتهد مصيّب: فكل أحد مأمور بالاجتهاد وباتباع ما غالب على ظنه، فلا يلزم أن يكونوا كلهم مأمورين بالاتفاق، ولا أن لا يكون اختلافهم منهياً عنه. وإطلاق الرحمة على هذا التقدير في الاختلاف أقوى من إطلاقها على قولنا: المصيّب واحد، هذا كله إذا حملنا الاختلاف في الخبر على الاختلاف في الفروع، وأما إذا قلنا: المراد الاختلاف في الصنائع والحرف؛ فلا شك أن ذلك من نعم الله تعالى التي يطلب من العبد شكرها، كما قال الحليمي في «شعب الإيمان»، لكن كان المناسب على هذا أن يقال: اختلاف الناس رحمة؛ إذ لا خصوصية للأمة بذلك؛ فإن كل الأمم مختلفون في الصنائع والحرف لا هذه الأمة فقط، فلا بد لتخصيص الأمة من وجه، ووجهه إمام الحرمين بأن المراتب والمناصب التي أعطيتها أمته - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - لم تعطها أمة من الأمم، فهي من رحمة الله تعالى لهم وفضله عليهم، لكنه لا يسبق من لفظ الاختلاف إلى ذلك ولا إلى الصنائع والحرف، فالحرفة الإبقاء على الظاهر المبادر وتأويل الخبر بما تقدم.

هذه خلاصة كلامه، ولا يخفى أنه مما لا بأس به. نعم كون الحديث ليس معروفاً عند المحدثين أصلاً لا يخلو عن شيء، فقد عزاه الزركشي في «الأحاديث المشتهرة» إلى «كتاب الحجة» لنصر المقدسي، ولم يذكر سنته ولا صحته، لكن ورد ما يقويه في الجملة مما نقل من كلام السلف، والحديث الذي أوردناه قبل وإن رواه الطبرى، والبيهقى في «المدخل» بسند ضعيف عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنها - على أنه يكفى في هذا الباب الحديث الذى أخرجه الشیخان وغيرهما، فالحق الذى لا محيد عنه أن المراد اختلاف الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - ومن شاركهم فى الاجتهاد، كالمجتهدین المعتمد بهم من علماء الدين ليسوا بمبتدعين، وكون ذلك رحمة لضعفاء الأمة، ومن ليس في درجتهم: مما لا ينبغي أن يتتطح فيه ك بشان، ولا يتنازع فيه اثنان. فليفهم». اهـ^(١).

أما عن كلام السلف في اختلاف العلماء في الفروع فقد ذكر ابن سعد في «طبقاته» عن القاسم بن محمد أنه قال: (كان اختلاف أصحاب محمد - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - رحمة للناس)، وأخرجه أبو نعيم بلفظ: (كان اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ رحمة لهؤلاء الناس)، وأخرجه البيهقي في «المدخل» بلفظ مقارب، كما أخرج البيهقي في المدخل - أيضاً - عن عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه قال: (ما سرني لو أن أصحاب محمد لم يختلفوا؛ لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة).

وأخرج الخطيب في «رواة مالك» عن إسماعيل بن أبي المجالد قال: قال هارون الرشيد لمالك بن أنس: يا أبا عبد الله تكتب هذه الكتب - يعني مؤلفات الإمام مالك - وتفرقها في آفاق الإسلام، لتحمل عليها الأمة! قال: يا أمير المؤمنين إن اختلاف العلماء رحمة من الله تعالى على هذه الأمة، كل يتبع ما يصح عنده، وكل على هدى، وكل يريد الله تعالى^(١).

(١) انظر: «كشف الخفاء» للعجلوني ١/٧٦ - ٧٧، ط العصرية.

قلت: وكل هذا في الفروع الفقهية التي أباح فيها الاجتهاد، فمن اجتهد وأخطأ فله أجر، ومن اجتهد وأصاب فله أجران، ويكتفي فيها بظن الصواب، أما في أصول العقائد فالمطلوب فيها هو اليقين والأدلة القاطعة.

الفصل الثالث

خيرية الأمة

قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرِجْتَ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَايُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَوَمَّنُونَ إِلَيْهِ وَأَتُوا أَمَانَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُم مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ النَّاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وهذه من نعم الله العظمى علينا أن جعلنا خير أمة، أتباع سيد الأنبياء والرسل، وذكرت الآية بعضاً من الصفات التي أسبغها رب العزة على هذه الأمة، ولمزيد من التوضيح أظهرت صفات الأمة السابقة عليها - أهل الكتاب - فاكتفت بأن منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون، أي إن أمتنا في المقابل - أمة الإجابة - أكثرها من المؤمنين.

ومن هنا قال - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - «إنكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله تبارك وتعالى»^(١).

(١) رواه من حديث معاوية بن حيدة: أحمد / ٤٤٦ ، ٥ / ٣ ، والترمذى .
(٢) ٤٢٨٧ ، وابن ماجه (٣٠٠١).

وإليك طرفاً من الأحاديث الواردة في خيرية الأمة:
 عن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صل
 الله تعالى عليه وآله وسلم - يقول: «وعدني ربِّي أن يدخل الجنة من
 أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون
 ألفاً، وثلاث حثيات من حثياته». رواه أحمد^(١)، والترمذى^(٢) - وحسنه -
 وابن ماجه^(٣)، وابن حبان^(٤)، والطبرانى^(٥).

روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله - صل
 الله تعالى عليه وآله وسلم - يقول: «يدخل الجنة من أمتي زمرة، هم

(١) «مستنده» ٥/٢٥٠، ٢٦٨.

(٢) الحديث (٢٤٣٧).

(٣) الحديث (٤٢٨٦).

(٤) «صحيحه» (٧٢٤٦).

(٥) «المعجم الكبير» ٨/١٠٥، ١٥٩.

سبعون ألفاً، تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة القدر»، قال أبو هريرة: فقام عكاشة بن محسن الأستدي يرفع نمرة عليه، فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فقال رسول الله - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم -: «اللهم اجعله منهم»، ثم قام رجل من الأنصار، فقال: يا رسول الله، ادع الله عز وجل أن يجعلني منهم، فقال: «سبقك بها عكاشة» أخرجه البخاري ومسلم^(١).

ومسلم^(٢): أن النبي - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - قال: «يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب»، فقال رجل: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «اللهم اجعله منهم»، ثم قام آخر، فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «سبقك بها عكاشة».

(١) البخاري (٥٨١١، ٦٥٤٢)، مسلم (٢١٦).

(٢) (٢١٦) (٣٦٧).

وفي أخرى قال: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً، زمرة واحدة منهم على صورة القمر»^(١).

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنها قال: قال رسول الله - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «باب أمتي - الذي يدخلون منه الجنة - عرضه مسيرة الراكب المجد ثلاثاً، ثم إنهم ليُضغطون عليه، حتى تكاد مناكبهم تزول». أخرجه الترمذى^(٢) وقال: «هذا حديث غريب». وفي حديث أبي هريرة: «.. فيقال: يا محمد! أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيها سوى ذلك من الأبواب»^(٣).

. ٢١٧ (١)

(٢) الحديث (٢٥٤٨).

(٣) رواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

روى أبو ذر الغفاري رضي الله عنه قال: خرجت ليلة من الليالي، فإذا رسول الله - صلى الله تعالى عليه وآلـه وسلم - يمشي وحده، ليس معه إنسان. قال: فظننت أنه يكره أن يمشي معه أحد. قال: فجعلت أمشي في ظل القمر، فالتفت فرأني، فقال: «من هذا؟» فقلت: أبو ذر، جعلني الله فداءك، قال: «يا أبو ذر ، تعاله»، قال: فمشيت معه ساعة، فقال: «إن المكثرين هم المقلون يوم القيمة إلا من أطعاه الله خيراً، فنفع فيه يمينه، وشماله، وبين يديه، ووراءه، وعمل فيه خيراً». قال: فمشيت معه ساعة، فقال لي: «اجلس هنا». قال: فأجلسني في قاع حوله حجارة، فقال لي: «اجلس هنا حتى أرجع إليك». قال: فانطلق في الحرة حتى لا أراه، فلبت عنى، فأطال اللبث، ثم إنني سمعته يقول وهو مقبل: «وإن سرق، وإن زنى؟». قال: فلما جاء لم أصبر، فقلت: يا نبي الله! جعلني الله فداءك، من تكلّم في جانب الحرة؟ ما سمعت أحداً يرجع إليك شيئاً! قال: «ذاك جبريل، عرضني في جانب الحرة، فقال: بشر

أمنتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، فقلت: يا جبريل، وإن سرق، وإن زنى؟ قال: نعم» قال قلت: (يا رسول الله) وإن سرق وإن زنى؟ قال: «نعم»، قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: «نعم وإن شرب الخمر». أخرجه البخاري ومسلم^(١).

قال الحميدي: ليس عندنا في كتاب مسلم (يا رسول الله) وصح في رواية البخاري، وبإسقاطه يمكن أن يكون من مخاطبة جبريل عليه السلام. اهـ.

عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم -: «تحشر هذه الأمة على ثلاثة أصناف: صنف يدخلون الجنة بغير حساب، وصنف يحاسبون حساباً يسيراً ثم يدخلون الجنة، وصنف يحيطون على ظهورهم أمثال الجبال

(١) البخاري (٦٤٣)، مسلم (٩٤) كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة.

الراسيات ذنوبأ، فيسأل الله عنهم - وهو أعلم بهم - فيقول: ما هؤلاء؟
فيقولون: هؤلاء عبيد من عبادك. فيقول: حطوها عنهم، واجعلوها
على اليهود والنصارى، وأدخلوهم برحمتي الجنة» رواه الحاكم في
«مستدركه»^(١) وصححه على شرط الشييخين، ووافقه الذهبي.

حدث أبو برد عمر بن عبد العزيز عن أبي أبي موسى الأشعري
رضي الله عنه - أيضاً - عن النبي - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم -
قال: «لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه النار يهودياً، أو
نصرانياً»، فاستحلقه عمر بن عبد العزيز بالله الذي لا إله إلا هو
ثلاث مرات أن أباه حدثه عن رسول الله - صلى الله تعالى عليه وآله
 وسلم -، فحلف له^(٢).

(١) الأحاديث (١٩٣، ٧٦٤، ٨٧٩٤).

(٢) رواه مسلم (٢٧٦٨) (٥٠).

وفي رواية: «إذا كان يوم القيمة دفع الله - عز وجل - إلى كل مسلم يهودياً أو نصراانياً فيقول: هذا فكاكك من النار»^(١).

وفي أخرى قال ﷺ: «يجيء يوم القيمة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال، فيغفرها الله لهم، ويضعها على اليهود والنصارى»... قال أبو بردة: فحدثت به عمر بن عبد العزيز، فقال: أبوك حدثك هذا عن النبي - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - ؟ قلت: نعم. أخرجه مسلم^(٢).

روى أنس بن مالك - رضي الله عنه -: مروا بجنازة فأثنوا عليها خيراً، فقال النبي ﷺ: «وَجَبْتُ» ثم مروا بأخرى، فأثنوا عليها شرّاً، فقال: «وَجَبْتُ»، فقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: ما

(١) مسلم (٤٩) (٢٧٦٧).

(٢) (٥١) (٢٧٦٧).

وجبْتُ؟ قال: «هذا أثنتيم عليه خيراً فوجبت له الجنة، وهذا أثنتيم عليه شرّاً فوجبت له النار. أنتم شهداء الله في الأرض»^(١).
وروي موقوفاً على ابن مسعود بأسناد صحيح: ما رأاه المسلمون
حسناً فهو عند الله حسن^(٢).

روى أبو مالك الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - : «إن الله أجاركم من ثلاث خلال: أن لا يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا جميعاً، وأن لا يظهر أهل الباطل على أهل الحق، وأن لا تجتمعوا على ضلاله»^(٣).

(١) رواه البخاري (١٣٦٧، ٢٦٤٢)، ومسلم (٩٤٩).

(٢) رواه أحمد / ١، ٣٧٩، والحاكم (٤٤٦٥).

(٣) رواه أبو داود (٤٢٥٣)، وفي سنده محمد بن إسماعيل بن عياش، قال أبو حاتم الرازى: لم يسمع من أية شيئاً. وقال المناوى: قال ابن حجر: في إسناده انقطاع.

عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله - صلی الله تعالیٰ علیه وآله وسلم: «أمتی هذه أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة، عذابها في الدنيا الفتنة والزلزال والقتل»^(١). قلت: ويشهد لصحة معنى هذا الحديث ما رواه الطبراني في «الصغير»^(٢) و«الأوسط» عن ابن عمر بلفظ - مامن أمة إلا وبعضاها في النار وبعضاها في الجنة إلا أمتی فإنها كلها في الجنة»^(٣). وإن ساده صحيح إن شاء الله^(٤).

(١) رواه أبو داود (٤٢٧٨)، وأحمد ٤٠٨ / ٤، ٤١٠، ٤١٨.

(٢) ٣٨٧ / ١٢.

(٣) ٢٣٢ / ٢.

(٤) قال الهيثمي: فيه أحمد بن محمد بن الحجاج بن رشدين وهو ضعيف. اهـ
«مجمع الزوائد» ١٠ / ٥٩. وهذا سهو من الإمام - رحمه الله - انظر
تحقيق الحديث في «مجمع البحرين» ط. دار الرشد ٤٦ / ٧ - ٤٧ (٤٠٠٨)
«ختصر إتحاف السادة المهرة بزوائد المسانيد العشرة» باب ما جاء في
فضل أمة نبينا محمد ﷺ، ٥ / ٣٢٥.

روى عبد الله بن يزيد الخطمي - رضي الله عنه - قال رسول الله ﷺ: «عذاب أمتي في دنياها»^(١).

وعن أبي بردة قال: جعلت رؤوس هذه الخوارج تحييء فأقول: إلى النار! فقال لي عبد الله بن يزيد: ما يدريك؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «جعل الله عذاب هذه الأمة في دنياهم»^(٢).

وعن أبي موسى الأشعري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أمتي مقدسة مباركة مرحومة لا عذاب عليها يوم القيمة، إنما عذابهم بينهم في الدنيا بالفتنة»^(٣).

(١) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/٤٥٧: رواه الطبراني في «الصغير» ٢/١٢٣، و«الأوسط» ٧/٦٣، ورجاله ثقات. اهـ ورواه الحاكم ١٥٧.

(٢) قال الهيثمي: رواه الطبراني في «الكبير» و«الصغير» باختصار والأوسط كذلك، ورجال «الكبير» رجال الصحيح اهـ «مجمع الزوائد» ٧/٤٥٨.

(٣) قال الهيثمي: «رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما القاسم: رجل من أهل حمص ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح غير عمرو بن قيس السكوني، وهو ثقة. اهـ «مجمع الزوائد» ١٠/٦١.

عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - يقول: «كلكم في الجنة إلا من شرد على الله عز وجل شراد البعير على أهله»^(١).

(١) قال الهيثمي: رواه أحمد [٢٥٨/٥]، ورجاله رجال الصحيح غير علي ابن خالد، وهو ثقة، اهـ. «مجمع الزوائد» [١٠/٦٢، ٧٤٥]. وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» [٣/٢٨١] ورواه في «الكبير» [٨/١٧٥] موقوفاً على أبي أمامة... وإن سادهما حسن. اهـ. «المجمع» [١٠/٦٢].

الفصل الرابع

كلام أهل السنة في الثواب والعقاب في الآخرة

الناس على قسمين في الآخرة باعتبار ما خرجوا عليه من الدنيا:
فمنهم المؤمنون، ومنهم الكافرون، وكلامنا هو في المؤمنين، أي أمة
الإجابة.

اتفقت الأمة على العفو عن الصغائر مطلقاً: ﴿إِنْ يَعْتَبِرُوا
كَبَائِرَ مَا لَمْ تُهُنَّ عَنْهُ نُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]، وعن
الكبائر بعد التوبة: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبِلُ التَّوْبَةَ عَنِ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ
السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥].

وذهب أهل السنة إلى جواز، بل إثبات العفو عن الكبائر بدون
التوبة، قالوا بأن العقاب هو حق الله، فيحسن إسقاطه، وفيه نفع
للعبد من غير ضرر لأحد، فهذا يثبت جواز العفو عن الكبائر
وإسقاط العقوبة، أما عن إثبات وقوع هذا العفو بالفعل فقد قال
تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبِلُ التَّوْبَةَ عَنِ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [الشورى: ٢٥]

و: ﴿أَوْ يُؤْتِهِنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَقْعُدُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٤] و: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشَرِّكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنِ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦]، ﴿وَلَنَ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦].

والآحاديث كثيرة في هذا الباب، ويكتفي منها حديث البطاقة^(١)، وحديث الآحاد بمفرده وإن لم يكن حجة في العقائد لكنه يفيد التأييد والتأكيد، فيما بالك بالكثير من الآحاديث الأخرى، وقبلها الآيات المفيدة لهذا المعنى؟!

يقول العلامة سعد الدين التفتازاني بعد أن ذكر الآيات السابقة: «وفي الأحاديث كثرة. ومعنى العفو والغفران: ترك عقوبة الجرم، والستر عليه بعدم المؤاخذة.

(١) انظر «سنن الترمذى» (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، و«مسند» أحمد

لا يقال: يجوز حمل النصوص على العفو عن الصغائر، أو عن الكبائر بعد التوبة، أو على تأخير العقوبات المستحقة، أو على عدم شرع الحدود في عامة المعاصي، أو على ترك وضع الآثار عليهم من التكاليف المهلكة كما على الأمم السالفة، أو على ترك ما فعل ببعض الأمم من المسوخ، وكتبه الآثام على الجياب، ونحو ذلك بما يفرضهم في الدنيا.

لأننا نقول: هذا مع كونه عدولًا عن الظاهر بلا دليل، وتقييداً للإطلاق بلا قرينة، وتحصيصاً للعام بلا مخصوص، ومخالفة لأقوال من يعتدّ به من المفسرين بلا ضرورة، وتفريقاً بين الآيات والأحاديث الصحيحة الصريرة في هذا المعنى بلا فارق، مما لا يكاد يصح في بعض الآيات، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِرُ أَنْ يُشَرِّكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨].

فإن المغفرة بالتوبة تعم الشرك وما دونه، فلا تصح التفرقة بإثباتها لما دونه، وكذا تعم كل أحد من العصاة، فلا تلائم التعليق بـ «من يشاء» المفید للبعضية، وكذا مغفرة الصغائر، على أن في

تخصيصها إخلاً بالمقصود في الآية، وهو تهويل شأن الشرك ببلوغه النهاية في القبح بحيث لا يغفر، ويغفر جميع ما سواه، ولو كبيرة في الغاية، وأما باقي المعاني المذكورة فربما يكون في الشرك أقوى على ما لا يخفى؛ فلا معنى للنفي «اه»^(١) بتصرف بسيط.

ثم أوضح هذا الإمام أن المشيئة الإلهية الخاصة بالعفو والمغفرة واقعة حتّى بفضله وكرمه سبحانه، فقال: «على أنك إذا تحققت، فليس هذا مجرد تعليق بالمشيئة بمنزلة قولك: يغفر ما دونه إن شاء، بل تقييداً للمغفور له، بمنزلة قولك: يغفر لمن يشاء دون من لا يشاء، وهذا لا يكون في الواجب البتة، بل في المفضل به، كقولك: الأمير يخلع على من يشاء، بمعنى أنه يفعل ذلك، لكن بالنسبة إلى البعض دون البعض»^(٢). نسأله سبحانه أن يشملنا بعفوه وفضله.

(١) «شرح المقاصد في علم الكلام» ٢٣٥-٢٣٦ / ٢.

(٢) السابق / ٢ . ٢٣٦

وبهذا ثبت إسقاط العقوبة في الآخرة عن بعض أصحاب الكبائر من المؤمنين الذين لم يتوبوا منها.

الفرق بين الوعد والوعيد:

أوضح جمهور أهل السنة - وهم الأشاعرة - بأن هناك فرقاً بين الوعد والوعيد، فالخلف في الوعد لؤم لا يليق بالكريم، والله سبحانه عنه منه عنه عن ذلك، أما الخلف في الوعيد فيعد كرماً وفضلاً لأنه على تقدير المشيئة كما هو عادة الكريم، فإنه إذا قال: (إذا فعل زيد كذا أعقابه) كان المراد: (أعقابه إن شئت)، فلا يكون حتى تعذيب بعض العصاة لجواز تخلف الوعيد، نعم قد ورد تعذيب بعض الموحدين والشفاعة فيهم، لكن لا يعم الأنواع كلها.

أما على رأي الماتريدية - وهم من أهل السنة أيضاً - فلا بد من نفوذ الوعيد في طائفه - ولو واحداً - من كل صنف من العصاة كالزناء، وقتلة النفس، وشربة الخمر..... إلخ.

الميزان:

يقول تعالى: ﴿ وَأَقِيرَ الْأَصْلَوَةَ طَرَقَ النَّهَارِ وَزُلْفَامَنَ الْأَيَّلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهَبُنَ الْسَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [هود: ١١٤]، وقال

- صلى الله تعالى عليه وآله وسلم -: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»^(١) وغير ذلك من النصوص الدالة على تكثير الكبائر فضلاً عن الصغائر فتوزن أعمال العبد كلها من الخير أو الشر.

فذهب جمهور المفسرين إلى أن الموزون هو الكتب التي اشتملت على أعمال العباد بناءً على أن الحسنات مميزة بكتاب والسيئات بكتاب آخر، ويشهد له حديث البطاقة التالي:

حديث البطاقة:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - قال: «إن الله يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخالق يوم القيمة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًا كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنك من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي

(١) متفق عليه البخاري (١٧٧٣)، مسلم (١٣٤٩).

الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلَكَ عذْرًا؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها:أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فيقول: احضر وزنك. فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟! فقال: إنك لا تُظلم. قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع

اسم الله شيء». ^(١)

يقول الإمام البيجوري: وهذا ليس لكل عبد، بل لعبد أراد الله به خيراً.

(١) رواه الترمذى (٢٦٣٩) وقال: «حسن غريب»، وابن ماجه (٤٣٠٠)،

وأحمد / ٢١٣ .

ومن هنا قال إمام الحرمين: (إنه ليس بإزار معرفة الله تعالى كبيرة يربى وزرها على أجرها) أي أن ثواب معرفة الله تعالى أكبر من ذنوب الكبائر.

الشفاعة:

قال أهل السنة: تجوز الشفاعة لأهل الكبائر لما تواتر من معنى ادخار الشفاعة لأهل الكبائر، ويستدل لها بعموم قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِذَلِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩] فالشفاعة ثابتة بالنص والإجماع، وتفيد أهل الكبائر في حط السيئات إما في عرصات يوم القيمة، وإما بعد دخول النار لإخراجهم منها.

يقول البيجوري معدداً أنواع شفاعته عليه السلام بخلاف الشفاعة العظمى في الموقف: «منها: شفاعته في إدخال قوم الجنة بغير حساب، ومنها: شفاعته في عدم دخول النار لقوم استحقوا دخولها، ومنها: شفاعته في إخراج الموحدين من النار...» اهـ. من «تحفة المريد».

عن أنس رضي الله عنه قال: قال - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» رواه الترمذى^(١) وقال: «حسن صحيح غريب» رواه البيهقى^(٢)، وصححه - أيضاً - ابن حبان^(٣) والحاكم^(٤)، وروي من طرق أخرى عن عدد من الصحابة، منهم: جابر، وحذيفة، وأبو الدرداء، وابن عباس، وابن عمر، وكعب بن عجرة.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - قال: «إن من أمتي من يشفع في للفتام من الناس، ومنهم من يشفع للقبيلة، ومنهم من يشفع للعصبة، ومنهم يشفع للرجل، حتى يدخلوا الجنة» أخرجه الترمذى^(٥).

(١) الحديث (٢٤٣٥).

(٢) «السنن الكبرى» (١٥٦١٦)، (٢٠٥٦٣).

(٣) «الصحيح» (٢٤٦٨).

(٤) «المستدرك» (٢٣٠-٢٢٨).

(٥) الحديث (٢٤٤٠)، وإسناده ضعيف، ولكن يشهد له معنى الحديث الذي بعده، وحسنه الترمذى.

وزاد رزين: « وإنما شفاعتي في أهل الكبائر، وإنه ليؤمر برجل إلى النار، فيأمر برجل كان قد سقاه شربة ماء على ظمئاً، فيقول: ألا تشفع لي؟ فيقول: ومن أنت؟ فيقول: ألسْتَ أَنْ سَقِيْتَ الْمَاءَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيُعْرَفُ فِيهِ، فَيُشَفَّعُ فِيهِ؛ فَيُرْدَنَّ مِنَ النَّارِ إِلَى الْجَنَّةِ ».

وروى عبد الله بن شقيق رحمه الله: كنت مع رهط باليلياء، فقال عبد الله بن أبي الجدعاء: سمعت رسول الله - صلى الله تعالى عليه وأله وسلم - قال: « يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر منبني تميم »، قيل: يا رسول الله سواك؟ قال: « سواي ». أخرجه الترمذى « . اللهم أللنا شفاعة نبيك المصطفى يوم شفاعته ﷺ، واكتب لنا الفوز والنجاة يا أرحم الراحمين. آمين.

والحمد لله رب العالمين

(١) الحديث (٢٤٣٨)، وقال الترمذى: « هذا حديث صحيح غريب »، وهو كما قال.

سلسلة مفاهیم بحثیة أن تصح

هَذِهِ الْمَفْهُومَاتُ

هذه السلسلة نبدأ فيها باستعراض مفاهيم جمهور الأمة
المعصومة حول بعض النقاط أو الموضوعات، وكيف
بني الجمهور هذه المفاهيم واستمدوها من نصوص الكتاب
والسنة متذمراً لهما بالعقل الراجع الصحيح جيلاً بعد
جيلاً ناقلاً لنا هذه المفاهيم مع نصوص الكتاب والسنة
منقياً لفاهيمه من الأهواء والتزغات، فكان بحق معبراً
عن خير أمة أخرجت للناس حفظ الله بها الدين ﴿إِنَّا
نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. لعل هذه السلسلة
تكون بشير خير من يريد مراجعة مفاهيمه على ضوء
الكتاب والسنة مستعيناً ياخوانه فإن يد الله مع الجماعة
 وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية والشاردة والشاذة.
والله الهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

عمان - العبدلي - عمارة البنك الإسلامي
هاتف 00962-6-4646116 فاكس 00962-6-4646106
ص.ب. 927601 عمان 111190 الأردن
e-mail: alrazi003@yahoo.com
www.al-razi.net

دار الرازي
المطبعة والنشر والتوزيع